

## العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا وبلدان الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط

الأستاذ: صفيان بوسلن

جامعة تيزي وزو

### ملخص:

وجدت عوامل هامة في عهد ملوك نوميديا 201 – 46 ق م الموحدة لتحقيق قفزة نوعية في التجارة الخارجية، وهي الاستقرار السياسي وتطوير الزراعة مع اتساع مساحة المملكة واسترجاع مسنسن لأراضي هامة وصالحة للزراعة مثل السهول الكبرى وسهول أمبوريا في تونس، وتنوع الثروة الحيوانية والغابية، وتوفر البلاد على مواد أولية هامة مثل المرمر والحديد وأسطول بحري يمكن ان يكون قد ورث من قرطاجة، بالإضافة الى تراجع نفوذ هذه الاخيرة بعد الحرب البونيقية الثانية (218-201 ق.م).

ارتبطت التجارة الخارجية النوميديية بالدرجة الأولى بروما، وتنوعت صادرات المملكة الى إيطاليا من حبوب ( القمح والشعير ) التي كانت في الدرجة الأولى وشملت الخضر والفواكه حتى تغنى الشعراء الرومان بالعنب الإفريقي، بالإضافة الى الخشاب والعاج والخيول والفيلة لتموين الجيش الروماني وحيوانات المزرعة كالأبقار والأغنام والحيوانات الوحشية المستخدمة في الألعاب. وفي ما يخص البلدان الأخرى مثل بلاد غالة وشبه جزيرة إيبيرية وجزر البليار، صممت المصادر الأدبية عن ذلك وقلت اللقى الأثرية، وسنخوض في الحديث عنها بأكثر حذر.

الكلمات المفتاحية: المملكة النوميديية، تاريخ شمال افريقيا القديمة، ملوك نوميديا.

### Abstract :

I found important factors in the era of the kings of Numidia 201-46 BC uniform to achieve a quantum leap in foreign trade, the political stability and the development of agriculture with the widening area of the Kingdom and retrieve Msensn important and valid for land for agriculture, such as the Great Plains and the plains of Emporia in Tunisia, and the diversity of animal and forest

resources, and provide the country important raw materials such as marble, iron and naval fleet can be inherited from Carthage, in addition to the waning influence of the latter after the second Punic war (218-201 BC.).

Associated with foreign trade Numidian primarily in Rome, and a variety of UK exports to Italy from grains (wheat and barley), which was in first class and included vegetables and fruits even poets Romans grapes Africa, in addition to Al Khashab, ivory, horses and elephants to supply the Roman army and farm animals like cows, sheep and brutal animals used in the games. In regard to other countries such as the country's Galh and semi Iberia and Balearic Islands, literary sources are silent about it and I said, archaeological finds, and we're going to talk about it more carefully.

**Keywords:** Numidian Kingdom, North Africa, ancient history, the kings of Numidia.

### مقدمة:

وجدت عوامل هامة في عهد ملوك نوميديا 201 – 46 ق م الموحدة لتحقيق قفزة نوعية في التجارة الخارجية، وهي الاستقرار السياسي وتطوير الزراعة وتوفير البلاد على مواد أولية وأسطول بحري يمكن ان يكون قد ورث من قرطاجنة وتراجع نفوذ هذه الاخيرة بعد الحرب البونيقية الثانية (118-201 ق.م). كسرت نوميديا الاحتكار القرطاجي للتجارة الخارجية وملأت شيء من الفراغ الذي تركه تراجع قرطاجنة، وعثر المنقبون على لقي أثرية في مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط تثبت بوجود علاقات تجارية بين المملكة الليبية وهذه المناطق.

من هي البلدان او المناطق التي ربطتها علاقات تجارية بمملكة نوميديا؟ وماهي صادرات المملكة وبأي عملة كنت تتعامل؟ وهل وجدت تاثيرات من وراء العلاقات التجارية؟

### 1. التجارة مع روما

بداية كانت علاقة الملوك النوميديين مع الرومان تربطها المصالح المشتركة بين الطرفين والتي اختلفت بين السلم والحرب، وهذه الأخيرة تمثلت بصفة خاصة في الملكين يوغرطة ويوبا الأول التي كانت علاقتهما عدائية مع روما<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - Salluste : guerre de Jugurtha, I, trad. Charles Durosier, bibliothèque libre, Paris, 1865, p 10.

وكانت الحبوب ( القمح + الشعير ) السلعة الرئيسية في التجارة الخارجية النوميديّة ، وأصبح بذلك الشمال الإفريقي مصدرا أساسيا للحبوب<sup>1</sup> ، حيث قام ماسينييسا بعقد عدة صفقات تجارية منها ما كانت عبارة عن مساعدات للجيش الرومانية المحاربة خارج الأراضي الرومانية وأخرى للإمبراطورية الرومانية نفسها<sup>2</sup> ، وهنا يمكننا التعقيب على ما جاء به المؤرخ غزال ( Gsell ) فيما يخص مساعدات الجيش الرومانية، فالسؤال المطروح ، هل حقا ماسينييسا وجه مساعدات للجيش الرومانية بصفة هدية وحسن نية، أم أنها ذكرت في المصادر بصفة مساعدات ؟ لكنها في الأصل ما هي إلا علاقات تجارية، كانت روما تدفع ثمن هذه الحبوب، ونستشف ذلك من المؤرخ اللاتيني تيت ليف<sup>3</sup> (Tite-live) الذي تحدث عن اشتراط روما دفع ثمن الحبوب بعد الحصول عليها رغم حديثه عن تأسف الإغليد ماسينييسا عن دفع روما ثمن حبوب كانت عبارة عن هبة ، ولكن حديث المؤرخ عن الموضوع في خطان متوازيان يثبت لنا بأنه من جهة يريد الحديث عن علاقات تجارية رسمية وروما تدفع ثمن البضاعة ومن جهة يريد إظهار مكانة روما الكبيرة بحديثه عن الهبة ولكن من خلال كلامه يثبت بأن روما تدفع في أغلب الأحيان.

لكن في كل الحالات يمكن أن نقوم بإحصاء هذه المساعدات ، فصدر ماسينييسا نحو روما سنة 200 ق.م حوالي 14.000 ق من القمح يقابلها في نفس السنة 10500 ق من الشعير، بينما في سنة 170 ق.م وصلت إلى 70.000 ق من القمح ، ويلاحظ بذلك أن هناك زيادة في نسبة الصادرات رغم أن الملك ماسينييسا لم يكمل بعد استرجاعه لأراضي أجداده في قرطاج خاصة منطقة الأمبوريا (السهول الخصبة) التي ستساعد الملك على زيادة كمية الإنتاج، التي لم يتم ضمها إلا في سنة 150 ق.م.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عقون محمد العربي : الإقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 ، ص 45.

<sup>2</sup> - إكصيل إصطفيان : شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج8، الرباط، 2007، ج5، ص 163 ، 164.

<sup>3</sup> - Tite – live : Histoire Romaine, Trad: Ellassere, Ed: Classique Garnier, Paris, 1950., XXXVI,4 ; XLX , 13.

<sup>4</sup> - حارش محمد الهادي : التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينييسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، دار هومة، الجزائر، 1978 ، ص 109.

بالإضافة إلى هذا نجد أن ماسينيسا أرسل أيضا للجيش المحاربة بمقدونيا كمية من القمح تقدر بـ 200.000 صاع يقابلها بالهكتار 17.508، وكمية مماثلة من الشعير هذا في سنة 200 ق.م، ونفس الكمية أرسلت أيضا إلى الجيوش المحاربة في اليونان سنة 198 ق.م<sup>1</sup>.

وأرسل أيضا سنة 191 ق.م إلى روما 300.000 صاع (26.262 هـ) من القمح و 250.00 صاع من الشعير ، أي ما يقارب 21.885 هـ ، هذا فضلا عن الكميات التي أرسلها أيضا سنة 171 ق.م كمية من القمح قدرت بـ 87.540 هـ للجيش المحاربة بمقدونيا<sup>2</sup>.

السنة	الكمية (بالقنطار)	المادة
200 ق.م	14.000	قمح
	10.500	شعير
198 ق.م	14.000	قمح
191 ق.م	28.900	شعير
	56.000	قمح
170 ق.م	70.000	قمح

\* صادرات نوميديا من القمح و الشعير نحو روما في عهد الملك ماسينيسا<sup>3</sup> ويبدو من خلال هذه الكميات الهامة التي زود بها الرومان لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من إنتاج المملكة<sup>4</sup> ، لأننا نلاحظ من خلال هذه الإحصائيات أن هناك تطور كبير في مجال الصادرات التي انعكست على عملية الإنتاج خاصة وأن هذه الكميات تخرج من المخازن الملكية فقط ، التي تأتي مداخلها من الأراضي الملكية والضرائب فقط<sup>5</sup>

1 - Tite-live : Op.Cit , XXXI;19.

2 - Ibid , XXXII;27-XXXVI;4,8.

3 - عقون محمد العربي : الاقتصاد و المجتمع .....، ص 45.

4 - كامبس قابريال : في أصول بلاد البربر ، ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، نع و تح : عقون محمد العربي ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2009، ص 243.

5 - حارش محمد الهادي : التطور السياسي....، ص 110.

أما فيما يخص هذا التطور في الصادرات فإنه لم يقتصر على عهد ماسينيسا إذ استمر حلفاؤه في تصدير كميات مختلفة ، حيث أرسل مكيبسا القمح للجيش الرومانية التي كانت تحارب بسردينيا ، كما سمح للتجار الرومان التحرك بحرية لشراء القمح والعبيد<sup>1</sup>.

فبذلك احتلت الحبوب مركز الصدارة في الصادرات النوميدية لكن في ذات الوقت لاشك في أن الحبوب لم تكن الصادرات الوحيدة ، فالمنتجات النباتية الأخرى و الحيوانية كانت هي الأخرى موجهة نحو التصدير ، ومن بين هذه المنتجات نذكر الزيوت التي كانت لها مكانة في الاقتصاد النوميدي ، إلا أن البعض يرى أنها لم تبلغ درجة من الاكتفاء والتصدير ، إضافة إلى الكروم التي كانت محل تجارة مع روما<sup>2</sup>.

أما فيما يخص الحيوانات التي تم تصديرها ، وتحدثت عنها النصوص نجد الفيلة النوميدية التي وجدت في الجيوش الرومانية خاصة تلك المحاربة في اسبانيا<sup>3</sup> ، وأرسل ماسينيسا أيضا إلى نفس الجيوش المحاربة بمقدونيا بعض الفيلة، كما كانت مع الجيوش الرومانية في اسبانيا سنة 141 ق.م فيلة أرسلها مكوسن<sup>4</sup> ، كما بعث هذا الأخير جنود وفيلة حيث أرسل في هذه السنة حوالي 10 فيلة لروما و300 فارس<sup>5</sup>.

ومن المؤكد أيضا أنه وجدت تجارة العاج الذي بيع بأسعار ثمينة والذي نعته الكثير من الشعراء بالعاج النوميدي<sup>6</sup> ، خاصة عندما أرسل ماسينيسا سنة 198 ق.م ، 10 فيلة لروما، مقارنة بسنة 191 ق.م حيث أرسل 20 فيل حيث يصل سنة 170 ق.م 12 فيلا<sup>7</sup>، وبالتالي نلاحظ أن عدد الفيلة المصدرة تتغير من فترة لأخرى.

<sup>1</sup> - Camps.G Aux origines de la Berberie Massinissa ou les débuts de l'histoire, Lybica, T.VIII, 1960., p300.

<sup>2</sup> - حارش محمد الهادي : التطور السياسي ...، ص ص 155 ، 156.

<sup>3</sup> - حارش محمد الهادي : التاريخ المغربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1992.، ص 130.

<sup>4</sup> - Tite-live: Op.Cit , XLIII;6.

<sup>5</sup> - Gsell.St: H.A.A.N,T.VII, Librairie Hachette, Paris 1927. pp 137,138.

<sup>6</sup> - Gsell.St: H.A.A.N , T.V , p170.

<sup>7</sup> - tite-live: Op.cit , XXXII;28 - XXXV; 4 - XLII,29 - XLIII; 6.

إضافة إلى الفيلة يمكننا الحديث أيضا عن الخيول حيث يذكر تيت-ليف<sup>1</sup> (Tite- live) أنه كانت الكثير من الصفقات بين ماسينيسا وروما خاصة ما بين سنتي 200-170 ق.م حيث نجده قدم سنة 200 ق.م ، 200 فرس إلا أن روما لم تقبل إلا 100 فرس ، أما في سنة 198 ق.م عقد صفقة بـ200 فرس وفي سنة 191 ق.م زودتها بـ500 فرس مقارنة بسنة 170 ق.م حيث ارتفعت نسبة تصدير الخيول إلى 1200 خيل ، واستمر على نهجه خليفته مكيبسا (148-118 ق.م) حيث يمكننا أن نفهم من غزال<sup>2</sup> (Gsell) أن هذا الأخير واصل نفس العلاقات مع روما حيث وجدت خيول نوميدية في اسبانيا سنة 141 ق.م.

كما كانت الملاهي الرومانية هي الأخرى في حاجة إلى الحيوانات للتسلية خاصة الحيوانات المفترسة كالأسود والفهود والدببة<sup>3</sup> ، إضافة إلى الحيوانات الأخرى التي استخدمت جلودها وصوفها في صناعة أنواع كثيرة من المنسوجات<sup>4</sup> ، خاصة وأن منتجات الماشية النوميديية كانت مادة لها قيمة في الأسواق الخارجية لهذا كانت محل تصدير<sup>5</sup> ، لاستخدامها في صناعات مختلفة كالألبسة ونسائج للبدن التي نالت شهرة كبيرة وكانت محل تجارة رائجة مع روما<sup>6</sup>.

ومن بين الصادرات أيضا أخشاب العفصية (Thuya) التي صنعت منها موائد بيعت في روما بأسعار خيالية ومطلوبة بكثرة من طرف صناع الأثاث<sup>7</sup> ، إضافة إلى المرمر النوميدي الشهير الذي كان محل تجارة رابحة صدر منه نحو روما سنة 78 ق.م<sup>8</sup>.

1 - Ibid, ,XXXI,19.

2 - Gsell.St: H.A.A.N, T.VII , p 137.

3 - حارش محمد الهادي : التاريخ المغربي...، ص 131.

4 - حارش محمد الهادي : التطور السياسي...، ص 154.

5 - Ernest : Histoire de l'Afrique Septentrionale ( Berberie ) , T.1 (3.V) , Ernest

Leraux Éditeur , Paris , 1888, p 47.

6 - إكصيل اصطفيان : المرجع السابق ، ج 5 ، ص 155.

7 - حارش محمد الهادي : التطور السياسي...، ص 156.

8 - إكصيل إصطفيان : المرجع السابق ، ج 5 ، ص 182.

هذا بالنسبة للصادرات أما عن الواردات من روما ، فهي تمثلت في بعض الأواني الفخارية كالمصايح والأنايب التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الشمال الافريقي<sup>1</sup>، بالإضافة إلى الخمور التي كانت تجلب من ايطاليا لإرضاء الطبقة الارستقراطية في المملكة النوميديّة ودليلنا على ذلك جرار عثر عليها في باجة (Vaga)<sup>2</sup>.

## 2. التجارة مع شبه الجزيرة الايبيرية

نظرا لنقص المصادر الكتابية التي تناولت العلاقات التجارية النوميديّة و خاصة منها مع شبه الجزيرة الايبيرية ، إلا أنه وجدت بعض الأدلة التي تثبت أنه منذ بداية عصر المعادن ، كانت هناك علاقات متوالية أقيمت بين الطرفين<sup>3</sup> ، وعرفت هذه العلاقات توسعا في الفترة الممتدة ما بين 203-46 ق.م ، إذ أكد بعض المؤرخين وجود هذه العلاقات من بينهم سالوست<sup>4</sup>.

كما ذكر سترابون ( Strabon ) نقلا عن "حارث محمد الهادي " أن سوق مالاقا (Malaga) « مدينة قريبة من مضيق جبل طارق من الناحية الشرقية » وأمبوريوم (Emporium) تفضلان التعامل مع النوميديين<sup>5</sup> ، فقد جمعت مالاقا علاقات واسعة مع نوميديا<sup>6</sup> ، وكانت هناك أيضا علاقات قائمة بين يول (شرشال) و شبه جزيرة ايبيريا في الفترة السابقة للاحتلال الروماني بالمنطقة<sup>7</sup>.

ومن بين الصادرات النوميديّة إلى شبه جزيرة ايبيريا تصدير بعض الحيوانات منها الحيوانات الأليفة ، وما توفره من جلود وصوف خاصة الكباش<sup>8</sup> ، وفي نفس الوقت نقلت إلى اسبانيا عن طريق تبادل العاج وبيض النعام من نوميديا<sup>9</sup> ، كما أشارت

1 - حارث محمد الهادي : التطور السياسي ...، ص ص 157 ، 158.

2 - Gsell.St: H.A.A.N, Op.Cit, T.VI, p82.

3 - كامبس قابريال : المرجع السابق ، ص 164.

4 - سالوست : حرب يوغرطة ، تر: محمد الهادي حارث ، منشورات دحلب ، 1991 ، ص 20.

5 - حارث محمد الهادي : التطور السياسي ...، ص 160.

6 - إكصيل إصطفيان : المرجع السابق ، ج 6 ، ص 71.

7 - حارث محمد الهادي : التطور السياسي ...، ص 160.

8 - نفسه ، ص 161.

9 - كامبس قابريال : المرجع السابق ، ص 165.

النقوش إلى وجود ايبيريين في بلاد المغرب القديم جلمهم من مناطق إنتاج الحبوب مما دفع البعض إلى الظن بأنه تم تصدير الحبوب نحو هذه المنطقة<sup>1</sup>.  
 أما عن الواردات نجد المواد المعدنية وكذا الفخار ذو النمط الايبيري الذي كان يؤثر به من اسبانيا<sup>2</sup> هذا فضلا عن التأثير الثقافي الايبيري على النوميدي الذي كان وراء هذه العلاقات التجارية.

### 3. التجارة مع بلاد الغال

إن الحديث عن العلاقات التجارية بين المملكة النوميديّة وغالة هو مغامرة ، لأنه من المواضيع الغامضة ، حيث لا يمكننا الخوض فيه إلا بالرجوع إلى البقايا الأثرية التي ربما تساعدنا على إيجاد شيء يثبت وجود هذه العلاقات .  
 و من بين الدلالات الأثرية التي أكدت وجود هذه العلاقات وجود بعض النقود النوميديّة التي عثر عليها في مناطق متفرقة من فرنسا الحالية ، أو بعض القطع الغالية في الجزائر<sup>3</sup> ، حيث أنه وجدت دلائل أيضا على هذه العلاقات و التي كانت ضمن كنز يحوي نقود فضية ، بمنطقة قسنطينة يؤرخ لسنة 79 ق.م<sup>4</sup>.  
 فلم تحظى هذه العلاقات بدراسة وافية لنقص المادة الخيرية التي تتحدث عن هذه العلاقات التجارية التي تربط بين الضفتين، ما يعني أن هذه العلاقات كانت قليلة الأهمية رغم تردد الغالين على المنطقة.  
 أما عن العلاقات المغاربية مع المشرق فكانت بداياتها مع مصر التي كانت لها اتصالات باكرة مباشرة مع اللوبيين الشرقيين يظهر ذلك في الأدوات التي عثر عليها في واد النيل و الشمال الغربي الإفريقي<sup>5</sup> ، ما يدل على وجود أنواع من التبادل التجاري بينهما.

1 - حارش محمد الهادي : التطور السياسي ...، ص 161.

2 - نفسه ، ص 162.

3 - حارش محمد الهادي : التطور السياسي ...، ص 162.

4 - إكصيل إصطفيان : المرجع السابق ، ج 6 ، ص 71.

5 - شنيتي محمد البشير : أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث و دراسات) ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003 ، ص 49.

كما وجدت بعض الإشارات إلى المبادلات التجارية مع مصر منذ عصر مبكر، ومن بين ما يشتره المصريون زيت ليبية متخثرة جدا نجدها مذكورة على كل القوائم الإهدائية التي تتكون منها وجبة الملوك والآلهة والأموات المؤهلين<sup>1</sup>.

وبالتالي لا نستبعد أن يستمر هذا التعامل مع مدن السرتين بعد أن ضمت بعض المدن إلى مملكة نوميديا في عهد الإقليد ماسينيسا وفي عهد خلفائه<sup>2</sup>.

والحديث أيضا عن العلاقات التجارية النوميديّة مع إفريقيا جنوب الصحراء تعد مجازفة في حد ذاتها نظرا لنقص المصادر المتحدثة عن هذه العلاقات، هذا بغض النظر عن الجانب الأثري لمثل هذه العلاقات حيث وجدت تجارة سرية للذهب بين السنغال والجنوب المغربي والدليل على ذلك أن الملوك النوميدي اكتسبوا سبائك ذهبية وأيضا الحجارة الكريمة، هذا فضلا عن تجارة العبيد حيث وجدت بقايا عظمية بقرطاجنة نسبت إلى الجنس الزنجي<sup>3</sup>.

بالإضافة إلى هذا لعب شعوب الغرامنت دور الوساطة التجارية بين الليبيين والإثيوبيين، أما البضائع فقد اختلفت وتنوعت مثلا نجد الفيلة حيث كانت تجلب أغلبها من بلاد السودان فقد كانت تحيط بها أدغال تكثر فيها الفيلة وغيرها من الحيوانات التي كانت محل تجارة مع الشمال الإفريقي<sup>4</sup>، كما يوجد العديد منها خاصة في الجبال الواقعة على طول النيجر وفي إثيوبيا، ولقد اتخذ العاج من عظام هذا الحيوان وأنيابه حيث شكل إحدى أساسيات تجارة النوميدي مع الإثيوبيين<sup>5</sup>، إضافة إلى الجمال التي اشتهرت بها الصحراء الإفريقية حيث سيقت أغلبها إلى نوميديا

1 - حارش محمد الهادي، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر، 2013، ص ص 53، 46.

2 - حارش محمد الهادي: التطور السياسي.....، ص 162.

3 - فرحاتي فتيحة: نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213ق.م-46ق.م، منشورات أبيك، 2007، ص ص 55-273.

4 - مارمول كربيخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج 1(3 أجزاء)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ص ص 79، 80.

5 - نفسه، ص 53.

كما شوهد حسب تعبير مارمول كربخال عدد منها في اسبانيا والتي أرسلت إليها ، لكنها لا تعيش فيها طويلا لكون البلاد شديدة البرد بالنسبة لها<sup>1</sup>.

هذا كل ما توفر لنا من معلومات حول النشاط التجاري لمملكة نوميديا ولا يخفى علينا أن سكوت بعض المصادر والنصوص جعل بعض النقاط تفلت منا ، ولم نتمكن حتى من حصر كل الواردات والصادرات التي ميزت المملكة النوميديية ، خاصة بما كانت تقدمه من منتجات نباتية وحيوانية وصناعية.

## التفاعل الحضاري بين مملكة نوميديا وأمصار البحر المتوسط:

### 1- الجانب الاقتصادي:

لقد كانت التجارة عاملا هاما وراء امتزاج المجموعات البشرية بعضها ببعض الآخر، حيث نتج عن هذا الامتزاج تفاعل حضاري مس مختلف جوانب الحياة خاصة و أن بعض المصادر الكتابية والمادية كانت لها بعض الإشارات الطفيفة حول هذا الموضوع. وبناء على ما سبقت الإشارة إليه ، فقد برزت التفاعلات التجارية النوميديية مع دول المتوسط مثلا في الجانب الاقتصادي ، حيث شكلت المنتوجات الزراعية والحيوانية مواد إستراتيجية وهامة ، مثلت الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد النوميدي . إضافة إلى هذا نجد أن النوميديون استثمروا بيئتهم الطبيعية استثمارا جيدا ، والتي خدمت اقتصادهم وكانت محل تجارة ناجحة ، حيث شكل الإنتاج فائضا للتصدير بعد تأمين مخزون استراتيجي للاستهلاك المحلي.

بداية كانت صادرات المملكة النوميديية مصدر أساسيا للعمالات الأجنبية خاصة الذهبية والفضية مقابل السلع النادرة التي تسوقها باتجاه موانئ البحر المتوسط ، خاصة بعد تحرير المدن الساحلية من الطوق القرطاجي من حبوب وريش النعام وبيضه والعاج ، وحيوانات السرك و كذا الأخشاب وغيرها من المواد المصدرة.

وفي هذا الجانب تم العثور على عملات كثيرة لممالك و مدن البحر المتوسط في المدن النوميديية ، و خاصة العاصمة سرتا ، وهذا يدل على أن التجار الأجانب الذين يحملون معهم عملاتهم يزاولون نشاطهم في مدن البلاد<sup>2</sup> ، هذا فضلا عن النقود

1 - نفسه ، ص 71.

2 - عقون محمد العربي: الاقتصاد و المجتمع....، ص 47.

النوميديّة التي عثر عليها في مناطق متوسطة عديدة منها : اسبانيا و فرنسا و ايطاليا و اليونان<sup>1</sup>.

و نلاحظ بذلك أن الصفقات الكبيرة يدفع فيها الطرف النوميدي السلع أما الطرف الأجنبي فيدفع النقد ، وهذا ما يفسر كثرة التداول للنقد الأجنبي لكن هذا لم يمنع من تداول النقود النوميديّة ، فلقد عثر في هذا الجانب على كنز أثري هام في "مازين" (Mazine) بكرواتيا « تقع في جنوب شرق أوروبا » يعود إلى عام 80 ق.م ، أي بعد وفاة ماسينيسا يضم 328 قطعة نقدية نوميديّة<sup>2</sup> ، وهذا دليل واسع على رواج التجارة النوميديّة.

ومن المواد التي دلت على مدى التواصل الحضاري نذكر الفخار والزجاج ، فمن خلال الدراسات التاريخية لاسيما الأثرية منها ، تم العثور على مثل هذه المواد في مواقع عديدة من القطر الجزائري حاليا ، كانت مختلفة من حيث المادة التي صنعت منها ، وشكلها ونوعيتها ، لدرجة أن المختصين في هذا الجانب كان بإمكانهم معرفة الأواني المحلية منها والمستوردة إما من بلدان الحوض الغربي للمتوسط أو الشرقي منه<sup>3</sup>.

هذا فضلا عن التأثيرات الفينيقية في مختلف الجوانب الاقتصادية حيث اختلفت آراء المؤرخين الذين انقسموا إلى قسمين رأي يقول بوجود هذه التأثيرات ، ورأي آخر ينفي وجوده<sup>4</sup> ، وأبرز مثال في هذا الجانب فيما تعلق بالمجال المادي وعلى رأسه الزراعة فهذه الأخيرة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، ويمكننا القول ببناء على ذلك أن الليبيين لم ينتظروا قدوم الملاحين الفينيقين للشروع في زراعة الحبوب ، وخير دليل على هذا هو العثور على أدوات زراعية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ<sup>5</sup>.

1 - Gsell.St : H.A.A.N, T.VI, pp 80-81.

2 - Ibid , Note . 3 , p 158.

3 - غانم محمد الصغير : المظاهر الحضارية و التراثية لتاريخ الجزائر القديم ( الدولة النوميديّة و عاصمتها كرتن بين النشأة و الهوية الحضارية ) ، الجزء الثاني و الثالث ، دار الهدى ، الجزائر ، 2011 ، ج 3 ، ص ص 226 ، 268.

4 - حارش محمد الهادي : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة ، دار هومة ، الجزائر ، 2013 ، ص ص 53 ، 46.

5 - Camps.G: Massinissa..., p 69.

ومن أمثلة اللقى الفخارية المستوردة نشير إلى القارورة (Gourde) التي عثر عليها في مقبرة الكدية بقسنطينة، وقد أوتي بها من الخارج، وهي عائدة حسب تصنيفها إلى القرن 4 ق.م، ولا يستبعد أن تكون قد صنعت في مدينة صور (Tyr) « تقع على الساحل اللبناني-الفينيقي- على الضفة الشرقية للمتوسط»<sup>1</sup>، كما عثر أيضا على نفس النوع إلا أنه ذات نمط قبرصي في محفوظات متحف قسنطينة كان قد استخرج من دولمان بوشن<sup>2</sup>.

كما عثر على بعض المقابض المولوية لخوابي الخمر تحمل أختاما غالبا ما كانت رودية، مما يدل على أنها جلبت من جزيرة رودس للبلاد الإغريقية، كما وجدت أيضا بعض المسرجات أو ما يعرف بالمصابيح (Lampe) التي يمكن أن يكون عليها تأثير رودي، وهو عبارة عن مصباح مغلق ذو فتحة عريضة<sup>3</sup> بالإضافة إلى بعض الأواني الفخارية المحلية والمستوردة، وعثر أيضا في قبر الخروب على أواني فضية إغريقية<sup>4</sup>، كما وجدت جاليات أجنبية شملت مختلف الجنسيات داخل مدينة سرتا تتكون معظمها من الحرفيين والتقنيين أو المهندسين<sup>5</sup>.

ومن جهة أخرى حاولت المدن الإغريقية أن تظهر صداقتها للملوك النوميدي خاصة "ماسينيسا"، وذلك بنحت تماثيل له وإقامتها في جزيرة ديلوس (Délös) والأخرى في أثينا كما أقيم تماثالا آخر لهيمبصال 2 (81-60 ق.م)<sup>6</sup>، ما يدل على استمرار الدور المغربي في الحوض الشرقي للمتوسط.

<sup>1</sup> - غانم محمد الصغير: المظاهر الحضارية...، ج 3، ص 268.

<sup>2</sup> - Logeart .F: Grottes funéraires hypogées et caveaux sous roches de Silla , Feuilles de 1933-1934 , R.S.A.C , T.63 , 1935 , p96.

<sup>3</sup> - Camps.G: Aux origines...Monument , p 319./-

غانم محمد الصغير: سرتا النوميديّة النشأة و التطور ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 ، ص 88.

<sup>4</sup> - حارش محمد الهادي: التطور السياسي...، ص 159.

<sup>5</sup> - غانم محمد الصغير: المملكة النوميديّة و الحضارة البونية ، دار الهدى ، الجزائر ، 2006 ، ص 127.

<sup>6</sup> - حارش محمد الهادي: ملخص بحث في حضارات البحر المتوسط ، مجلة المعالم ، ع 4 ، السداسي الأول ، 1990 ، ص 34.

وما يظهر ازدهار التواصل الحضاري فقد تم العثور أيضا على بعض الجرار تحمل على مقابضها أختاما تحدد فترة الصنع<sup>1</sup> ، أما أمثلة اللقى الفخارية المحلية التي عثر عليها في القبور البونية بسرنا فإنها غالبا ما تتمثل في العديد من المسارج المزودة بمقابض إلى جانب بعض أواني حرق البخور وقارورات العطر<sup>2</sup>.

ولعل أن هذه التأثيرات الحضارية على الفخاريات هو ذو جذور ترجع إلى الفترة الهيلينستية أو الهيلينية ( تبدأ من حوالي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد إلى بداية التاريخ الميلادي ، وهي تدل على التمازج أو التفاعل الحضاري بين المظاهر الحضارية الإغريقية و الشرقية ، أو بتعبير أدق هي الحضارة التي حملت كل عناصر الفكر والثقافة الإغريقية إلى خارج العالم الإغريقي ) ، والتي تواصل استعمالها خلال الفترة الرومانية<sup>3</sup>. بالإضافة إلى الحلي المعدنية منها ما كان محليا ، ومنها ما كان تقليدا أو ما جلب مع الجاليات الأجنبية ، مثل الأساور والخواتم الحديدية والبرونزية التي عثر عليها بمقبرة عين الباي والأقراط البرونزية بدولن بومرزوق<sup>4</sup>.

فإلى جانب التأثيرات الأجنبية على النوميديين هناك أيضا بعض التأثيرات العكسية ، حيث نجد أن الإغريق يأخذون عن الليبيين الثياب والعربات والغناء ، ويبدو أن ثوب ودرع تماثيل أثينا نقلهما الإغريق عن النساء الليبيات غير أن لباسهن جلدي أما الدروع فهي مصنوعة من جلد الماعز ، إلا أن الإغريق غيروا الاسم الليبي لجلود الماعز إلى اسمها الإغريقي آيجس (Aegis) أي الدرع ، وأكثر من هذا فإن الغناء الطقسي ظهر أولا في ليبيا ، ومن الليبيين أيضا تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة<sup>5</sup>.

Gsell.St: H.A.A.N,T.VI,p82. - 1

Cheniti Mohamed El Bachir : La Numidie , le peuple et le royaume , L'Algérie au temps - 2 des royaumes numides , à l'occasions de l'année de l'Algérie en France , Ministère de la communication et de la culture , Alger , 2003., p36.

3 - سلاطينة عبد المالك : بصمات الحضور الفينيقي البوني بشمال إفريقيا (دراسة لمواقع أثرية بتونس - الجزائر - المغرب - ليبيا ) ، الطبعة الأولى ، دار الإرشاد ، 2013 ، ص 238.

Gsell.St : Monuments Antiques de l'Algérie, T.1, (2V), Ancienne Librairie Thorin et fils - 4 Albert Fontemoing Éditeur, Paris , 1901 , p 24.

5 - خشيم علي فهيي: نصوص ليبية ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1975 ، ص ص 45،46.

وهذا يعني أن الإغريق لم يكونوا يعرفون لا العربية ولا الخيول ، وأن الفضل في تعرفهم عليها يعود للأمازيغ.

وعلى الرغم من التحديات والأخطار التي كانت تواجه مملكة نوميديا إلا أنها تمكنت من فرض نفسها وبسط نفوذها ، وإبراز معالم شخصيتها من خلال تأمينها للغذاء لأهم المجتمعات المتوسطية ، وبذلك تمكن ماسينيسا ومن خلفوه بفضل تطور التجارة خاصة منها الخارجية من ملأ خزائن مملكته بعد أن استفرد بالأسواق التجارية ، وخص رعاياه لمختلف مبادلاتهم الداخلية بعملات ذات قيمة بسيطة لا تنهك خزائنه ، ولم يقتصر هذا الرخاء الاقتصادي على عهد ماسينيسا بل تعداه إلى ابنه مسيسيسا الذي وبفضل حسن تسييره لأمر المملكة واستقرارها، احتفظ بالعلاقات الجيدة مع الرومان<sup>1</sup> ، ويظهر الرخاء الاقتصادي وامتلاء خزائن المملكة في عهد يوغرطة الذي استغلها دبلوماسيا لشراء ضمائر الرومان.

وضمن هذا الإطار نلاحظ بأن هناك علاقات بحرية ربطت الشمال الإفريقي القديم مع الجزر وشبه الجزر الأوربية ، فضلا عن علاقاتها بدول الحوض الشرقي للمتوسط ، والتي انعكست بالإيجاب على الحياة النوميديّة، لأن كل التطور التقني والفني ليس كله إفريقي وإنما عليه لمسات فينيقية وإغريقية ورومانية.

## 2- الجانب الثقافي والفكري:

إن تأثير التجارة الداخلية والخارجية لم يقتصر فقط على الجانب الاقتصادي ، وإنما تعداه إلى أبعد من ذلك حيث كان تأثير كل منهما وخاصة الخارجية منها جد واضح على العلاقات الاجتماعية وذلك عن طريق نقل التجارب والخبرات والمعارف المختلفة. كما أثرت أيضا في الحياة الثقافية والدينية للمجتمع النوميدي، بمعنى أنها تعدت الصفقات التجارية إلى التبادل الثقافي والديني الذي مس مختلف شرائح المجتمع النوميدي الذين تأثروا بثقافة الدول المجاورة لهم والدول التي أقامت معها علاقات تجارية ، هذا فضلا عن تأثير المجتمعات الأخرى بالثقافة النوميديّة.

بداية كان ماسينيسا مولعا بالثقافة والفنون ، ومجالسة أهل المعرفة من مختلف الجنسيات خاصة منهم الإغريق بعد إزاحته للطوق القرطاجي ، والذين كانوا على صلة

<sup>1</sup> - مهران محمد بيومي: المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1990 ، ص 295.

ودية بالملك ، كما أن التنشئة الإغريقية التي كفلها هذا الملك لأبنائه وخاصة مصطنع ذات دلالة عميقة خاصة عند اشتراكه في الألعاب الأثينية وفوزه فيها<sup>1</sup>.

كما توطدت العلاقات النوميديّة الإغريقية عن طريق السفارة والزيارة وتبادل الهدايا والتكريم ومن ذلك كانت نوميديا توفد أمراءها في بعثات طلابية إلى العواصم اليونانية لتلقي المعرفة على أيدي أدباء وفنانين إغريق<sup>2</sup> ، حيث تذكر الكثير من المصادر الأدبية أن بلاط ماسينيسا كان حافلا بالموسيقيين والأدباء والفنانين الإغريق الذين جعلوا من سرتا مدينة راقية في حياتها المادية والفكرية<sup>3</sup>.

وفي نفس المجال ، يشير تيت ليف<sup>4</sup> (Tite-live) إلى أن قاعات القصر كانت تعج بالمواد التي تقدم فيها الأواني الثمينة المصنوعة من الفضة والذهب ، مثل ما هو الحال في القصور اليونانية ، والتي تعكس مظاهر الرفاهية والرخاء الاقتصادي.

والإغريقية هي لغة الحضارات ، ولا شك أن تكون الجالية الإغريقية التي بسرتا قد اجتمعت لنشر لغتها بين السكان المحليين، ولعل التردد على الموانئ النوميديّة والمورية من التجار اللاتين من بلاد الإغريق وصقلية (Sicile) يمكن أن تكون لها تأثير على المجتمع النوميدي<sup>5</sup>.

وقد أشارت النصوص أيضا إلى اهتمام ماسينيسا بعلوم عصره وإطلاعه على اللغة الإغريقية ، حيث سلك نهج والده ماسينيسا ولذلك أحضر إلى عاصمته بسرتا فنانين إغريق ، وهو مؤشر على بداية هلينة المملكة وبذلك تكون تلك الهلينة قد مهدت للرومنة فيما بعد ، خاصة مع ظهور قوة جديدة ستنتقل إليها السيادة في البحر المتوسط وهي روما لأن حضارة هذه الأخيرة ماهي إلا حضارة إغريقية ناطقة باللاتينية ، وقد أحدثت هذه الحضارة تأثيرا كبيرا في مختلف مناحي الحياة الإفريقية ، ولو لم تكن مصحوبة بالاحتلال لكان تأثيرها أكبر<sup>6</sup>.

1 - Camps .G :Massinissa ...., p199.

2 - شنيقي محمد البشير : أضواء على تاريخ .....، ص 162.

3 - شفيق محمد : ثلاثة و ثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1988 ، ص

37/ كامبس قابريال : ماسينيسا .....، ص 244./ 90,91. T.VI , H.A.A.N , Gsell.St :

4 - Tite-live : Op.Cit , XXX -19

5 - Gsell.St : H.A.A.N , T.VI , p117.

6 - عقون محمد العربي : المرجع السابق ، ص 271.

فإلى جانب هذا كان مسيبسا يتقن 3 لغات : البونيقية ، الإغريقية ، الرومانية ، أفادته اللغتان البونيقية والإغريقية في الدراسة والاستزادة من العلم ، كان يميل إلى الفلسفة الإغريقية ، ويعتني بدراسة كتبها ومناظرة الفلاسفة اليونان الذين يزودونه في عاصمته ويرغبون في التحدث معه لسعة علمه وغازة معرفته<sup>1</sup> .

بالإضافة إلى الترجمة التي لعبت دورا كبيرا ، حيث كان الإغريق يأخذون عن القرطاجيين الترجمة البونية للإسم الليبي، وكذلك الشأن بالنسبة لأسماء الوظائف ، فالوظائف القرطاجية التي أخذ عنها الإغريق والرومان لا تسمي أغلب المدن والوظائف الإدارية باللغة الليبية ولكن تسميها مترجمة إلى لغتها فيأخذها عنهم الإغريق والرومان ويدونها مترجمة في كتبهم<sup>2</sup> ، لكن هذا لم يمنع من وجود الأثر الحضاري الليبي النوميدي مثل مساهمة الملوك النوميدي في ازدهار الكتابة النوميديّة، ويرجع لهم الفضل مثل مسيبسا الذي أعطى الأمر بتنشئة معبد دوقا (Dougga) الذي حمل على جدرانته العديد من النقوش الليبية والمزدوجة<sup>3</sup> .

ومع ذلك نجد بعض مؤرخي العصر الحديث خاصة منهم أصحاب المدرسة الكولونيالية أمثال كاركوبينو (Carcopino) " المغرب القديم " وكامبس (Camps) الذين حاولوا تأكيد عجز الليبيين القدامى وحاجتهم في العيش تحت ظل الأجنبي - المحتلين - وتغيب العنصر المحلي في صنع تاريخه ، وسبب هذا هو غياب مدرسة محلية في هذا التخصص.

وإلى جانب الإغريق كانت هناك جاليات ايطالية تعيش في سرتا من تجار وصناع ووجد أيضا بعض الجنود الايطاليين في فرق الجند المأجور بالجيش النوميدي<sup>4</sup> ، كما لم تكن اللغة اللاتينية لغة غريبة عن الشعب الإفريقي، وذلك من خلال العلاقة

1 - دبوز محمد علي : تاريخ المغرب...، ج 1، ص 226.

2 - عقون محمد العربي : المرجع السابق ، ص 41.

3 - غانم محمد الصغير : النقوش الليبية في شمال إفريقيا « المصطلح و الرموز الكتابية » ، جامعة قسنطينة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الجزائر ، ص 35.

4 - عقون محمد العربي : المرجع السابق ، ص 272.

التي كانت تربط الأفارقة والرومان في حالات الحرب والسلم ابتداء من عهد ماسينييسا إلى غاية عهد يوغرطا<sup>1</sup>.

فإن كل ما حملته روما من حضارة لاتينية في بلاد المغرب القديم كان في فائدة المستعمرين الرومان فيما بعد<sup>2</sup>، ومن بين الذين نهلوا من ينابيع الحضارة الرومانية نذكر أبوليوس ( Apulée ) ( 125-180 م ) ويوبا 2 ( Juba II ) ( 50 ق.م-23 م.م ) والقديس أوغسطين ( Saint-Augustin ) ( 354-430 م ) إضافة إلى الخطيب الأمازيغي ماركوس كورنيوس فرونطو (100-166م)<sup>3</sup>.

وبذلك ظهر الاتصال الثقافي بين بلاد المغرب والعالم المتوسطي وبرزت مظاهره خاصة في العهد البونيقي والروماني ، وتمثلت في الحضارة البونيقية – الهيلينية – اللاتينية التي خلفت شواهدا المادية والمعنوية في بلادنا<sup>4</sup> وكان لأسلافنا إسهام واضح فيها لا يمكن تجاهله.

وعرف أيضا المجتمع النوميدي من الناحية الدينية العديد من المعتقدات والآلهة كعبادة الظواهر الطبيعية وتقديس الآلهة هذا قبل اختلاطهم بالشعوب الأخرى، حيث وجدت علاقة تأثير وتأثر بين الآلهة المحلية والأجنبية.

فلقد حمل ماسينييسا النوميديين على عبادة آلهة اليونان مثل سيرس ( Cérés ) التي كان لها أهمية زراعية وهي آلهة يونانية لاتينية تعادل آلهة ديميتير ( Demitir ) وهي ربة القمح دون غيره من المحاصيل فهي بذلك مسؤولة عن الخصب وتعليم الزراعة بالإضافة إلى قورايا ( Korïa )<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - المبكر محمد : شمال إفريقيا القديم « حركة الدوارين و علاقتهما بالدوناتية » ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، 2001 ، ص 271.

<sup>2</sup> - سليمان أحمد : ماسينييسا و يوغرطة ، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، 2007 ، ص 12.

<sup>3</sup> - أنظر: Monceaux Paul : les auteurs latins d'Afrique (la littérature latine d'Afrique), Alger: livres éditions, Alger, 2016, pp.398.

<sup>4</sup> - شنيقي محمد البشير : أضواء على تاريخ ...، ص 162.

<sup>5</sup> - جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تع : مزالي محمد وبن سلامة البشير ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1978 ، ص 110.

كما نقل المهاجرون الإغريق معهم ممارستهم الدينية ومعبوداتهم إلى المستعمرات التي أنشئوها، فأقاموا المعابد لآلهتهم ، ومنها أبوللو (Appolon) <sup>1</sup> ، والتي انتقلت عبادته مع المهاجرين الدوريين خاصة من ثيرا <sup>2</sup> كما ارتبطت أصول بعض الآلهة اليونانية بليبيا ، ومن بينها نذكر الإله بوسيدون (Posidon) وهو إله البحر عند الإغريق يسهر على شؤون البحر والملاحة ، كما يمثل أيضا إله المياه العذبة التي تسقي النباتات لذا فهو رمز نمو الخضروات والقطعان<sup>3</sup>، وهو في الأصل إله ليبي لأن معرفة الإغريق له قد كانت عن طريق الليبيين<sup>4</sup>.

بالإضافة إلى الإله تريتون (Triton) هو أحد آلهة البحر الثانوية بعد بوسيدون في الأساطير الإغريقية ، إلا أن هناك إشارات عديدة تتوفر عنه تربطه بليبيا فهو ابن الإله بوسيدون<sup>5</sup> ، حيث كانت هناك بحيرة سميت تحت اسم تريتيونيوس تقع على ساحل خليج قابس ، وأن الليبيين الذين يستقرون بالقرب من هذه البحيرة كانوا يقدمون القرابين للآلهين تريتون و بوسيدون<sup>6</sup> ، ولكن في المرتبة الثانية يأتي هو وبوسيدون بعد المعبودة أثينا فهذه الأخيرة هي ربة إغريقية عبدها الليبيين و أقاموا لها الاحتفالات السنوية<sup>7</sup> ، بالإضافة إلى العديد من الآلهة التي كانت محل عبادة داخل المجتمع النوميدي.

1 - أبوللو (Appolon) : إله يوناني ابن زيوس هو رب الشباب والشعر والموسيقى والطهارة والاستيطان ، حسن محمد جوهر ، صالح ذكي : اليونان ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ص 30.

2 - ثيرا (Théra) : جزيرة يونانية تقع شمال جزيرة كريت تدعى اليوم سانتورين ، خشيم علي فهي : المرجع السابق ، ص 20.

3 - غانم محمد الصغير : الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا ، دار الهدى ، 2005 ، ص 104.

4 - خشيم علي فهي : المرجع السابق ، ص ص 17-18.

5 - نفسه ، ص 38.

6 - غانم محمد الصغير : الملامح الباكرة ...، ص 107.

7 - نفسه ، ص ص 107 ، 108.

كما قد يكون الإغريق تبنا عباداة آلهة افريقية مثل عباداة آمون وهو أهم أشكال التأثير الديني الليبي عليهم سواء في شمال إفريقيا أو ببلاد الإغريق ، الذي عرف باسم آمون ليبيا<sup>1</sup> ، وبذلك نلاحظ أن سبل التأثير كثيرة بين الطرفين .

ومع ذلك نجد أن المعبودات الإغريقية كان لها تأثير واسع على الليبيين حيث انفتح المغاربة القدماء على تجارب دينية لشعوب أخرى وحدث ذلك في سياق التطور الطبيعي لسكان المنطقة وضمن صلاتهم الحضارية الشاملة مع تلك الشعوب، فتأخروا بها وأثروا فيها.

### 3- الجانب العمراني

عند الحديث عن العمارة في الشمال الإفريقي القديم ، تتبادر إلى أذهاننا مباشرة العمارة الرومانية فكثرة الآثار التي تعود إلى هذه الفترة ، تحجب عنا آثار فترة ما قبل الرومان ، زد على ذلك أن هذه الأخيرة توجد في كثير من الأحيان على بقايا الفترة ما قبل الرومانية ، ومع ذلك يمكننا أن نلاحظ عمران المدينة النوميديية من خلال شواهد العمارة الجنائزية التي لا تزال متبقية إلى اليوم لوقوع أغلبها خارج المدن .

وعليه يمكننا أن نقسم العمارة النوميديية إلى عمارة مدنية وأخرى جنائزية ، ومحاولة منا أن نبين أصل هذه العمارة بمختلف أنواعها ، وكذا مدى التزاوج الحضاري بين أصولها المحلية والتأثيرات الخارجية .

#### أ/ الفن المعماري المدني:

إن الإستقرار السياسي الذي ساد في عهد ماسينيسا وحكمه الطويل وكذا الازدهار الاقتصادي والتطور التجاري الداخلي والخارجي الذي نتج عن سياسة الإستقرار ، أدى إلى انطلاق حضاري ومدني سريع المدى وقد ازدهر فيه الفن المعماري . ورغم النصوص التي تحدثت عن قصور سيفاقس وماسينيسا وخلفاؤه قي قيرطا<sup>2</sup>، وحتى التي شيدها مكوسن بهذه المدينة ، ومن خلال بعض الظواهر التاريخية لتلك المنطقة في ذلك العهد، نلاحظ أنها شيدت على النمط الإغريقي البونيقي ، وهذه التأثيرات أعطت قيمة أكثر للجانب العمراني النوميديي مثل معبد دوقا وصومعة

<sup>1</sup> - غانم محمد الصغير ، الملامح الباكورة ... ، ص 110.

<sup>2</sup> - Tit-live : Op.Cit , XXX-19.

الخروب<sup>1</sup> ، حيث عثر بسيدي مبروك بضواحي مدينة قسنطينة على تاجين عموديين من طراز رودي يرجعان للفترة النوميدية<sup>2</sup> ، وهما شاهدان أيضا على التلاقح الحضاري المعماري ما بين بلاد الإغريق ونوميديا ، حيث كان هناك بعض المهندسين الذين هم من أصل هليبي أتوا ليعرضوا خدماتهم على الأمراء النوميديين والموريين ولتكوين تلاميذ لهم أيضا<sup>3</sup> .

كما رسمت بعض المدن النوميدية على النقود على غرار مدينة سرتا ، بالإضافة إلى العملة الفضية التي رسمت على أحد وجهيها واجهة لمعبد رأى فيه Mazard شبه القرابة من معبد إغريق روماني كلاسيكي ونلاحظ بذلك أنه ابتداء من عهد يوبا الأول بدأ يظهر نوع جديد من الفن المتأثر بالفن الروماني ، كما نلاحظ أيضا بعض النقود من البرونز التي نسبت لنفس الملك رسم عليها قصر بكرتا أو زاما وهي عاصمة يوبا الأول<sup>4</sup> ، وتعتبر هذه العملة وثيقة نادرة تؤكد لنا أن الفن المعماري النوميدي الذي تبناه في القرون الأخيرة لقبل الميلاد يرتبط في خصائصه الهامة بالفن المعماري الإغريقي الروماني<sup>5</sup> .

### ب/ الفن المعماري الجنائزي:

أبرز علم الآثار إلى وجود بقايا أثرية ترجع إلى الفن المعماري الجنائزي وتعود هذه المعابد التي جسدت هذا النوع من الفن المعماري إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد ، حيث اختلفت هذه المعابد والأضرحة إلى ملكية نوميدية وأخرى ملكية نوميدية هيلينستية ، وفي هذا الجانب يرى غزال (Gsell) بأن بعض الأضرحة النوميدية مثل معبد دوقا وصومعة الخروب ليس بنايتين أهليتين فالواحد منهما بونيقي والآخر إغريقي ، عكس المدغاسن وقبر الرومية هما بنايتين أهليتين يغطيها رداء من أصل أجنبي

1 - Gsell.St : \* Monuments Antiques de l'Algérie , T.1( 2.V) , Ancienne Librairie Thorin et

files Albert Fontemoing éditeur , Paris , 1901T.1 , p61.

2 - غانم محمد الصغير : سرتا النوميدية ...، ص100.

3 - إكصيل إصطفيان : المرجع السابق ، ج 6 ، ص 76.

4 - Mazard . J : Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque , Arts et Metier Graphiques

, 1955., p 50, Fig: 84-85.

5 - Ibid., p 51, Fig: 91.

وبزينة مزخرفة من الهندسة الإغريقية<sup>1</sup>، خاصة وأن المهندسين أخضعوا الأضرحة النوميديّة للتأثيرات الهيلينية والتي يعود أصلها من صقلية أي أنها من أصل رودي إغريقي محض<sup>2</sup>.

وفيما يلي سنقوم برصد هذه المعابد بشكل موجز نظرا لقلة المراجع التي تحدثت عن هذا الجانب والتي توجهنا بدورها إلى المصادر المتحدثة في هذا المجال ، والتي لا زالت إلى اليوم وبعضها تعرض لعمليات الترميم والبعض الآخر خرب نتيجة للعديد من العوامل ، ومن بين هذه الأضرحة الملكية النوميديّة نجد المدغاسن (Madracen) حيث أرجع بعض المؤرخين اسمه إلى جد البربر مادغيس<sup>3</sup> وهو أقدم نموذج للعمارة النوميديّة<sup>4</sup> ، يقع شمال شرق مدينة باتنة حاليا وجنوب مدينة قسنطينة وهو من أضخم الأضرحة بالشمال الإفريقي<sup>5</sup> ، حيث عرفت زخرفته عدة تأثيرات "إغريقي- شرقي- بونيقي"<sup>6</sup>.

أما فيما يخص العمارة النوميديّة التي مسها التأثير الهيليني نذكر معبد دوقا (de dougga Mausolée) أنشأ سنة 138 ق.م من قبل الملك مكوسن الذي بناه كاعتراف لوالده ماسينيسا، حيث شهدت فترة حكمه ازدهارا في الجوانب العمرانية والثقافية بالمملكة النوميديّة ، حيث أجمعت المصادر والمراجع على مساهمة الملك في هذه المجالات<sup>7</sup> ، وهذا المعبد هو أفضل نموذج لضريح ملكي نوميدي يتشكل من

<sup>1</sup> - إكصيل إصطفيان : المرجع السابق ، ج 6 ، ص ص 226-227.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص 226.

<sup>3</sup> - لحسن رابح : أضرحة الملوك النوميدي و المور (دراسة أثرية و تاريخية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميديّة و المورية المشيدة منذ القرن الرابع ق.م إلى غاية عشية الفتح الإسلامي في القرن السابع م) ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ص 70.

<sup>4</sup> - حارش محمد الهادي : التاريخ المغربي...، ص 159.

<sup>5</sup> - لحسن رابح : المرجع السابق ، ص 67.

<sup>6</sup> - فنطر محمد : يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا و أبطالها ، الدار التونسية للنشر ، 1970 ، ص 110.

<sup>7</sup> - غانم محمد الصغير : سرتا النوميديّة...، ص 104/. فرحاتي فتيحة : المرجع السابق ، ص 311/. حارش محمد الهادي : التاريخ المغربي...، ص 168.

ثلاثة طوابق ذات 21 متر<sup>1</sup>، أما فيما يخص أعضاء ورشة البناء كلهم دون استثناء من أصل نوميدي مما يدعم فكرة بنائه في عهد مكوسن<sup>2</sup>.

ومن المعابد التي شهدت أيضا تأثيرات خارجية نذكر ضريح الصومعة "ضريح الخروب" (Soumaa de Khroub) وتعني البرج ، ويقع على بعد 3 كيلومترات شمال شرق قرية الخروب وعلى 14 كيلومتر من العاصمة الملكية قيرطن<sup>3</sup> ويحتوي على أدوات جنائزية وأوسمة تظهر عليها التأثيرات الهيلينية، وجرار رودية و أخرى ايطالية<sup>4</sup>.

وبذلك نلاحظ أنه شيد من طرف معماريين متأثرين بالفن القرطاجي وبهذا نستنتج أن النوميدي قد استفادوا من حضارات عديدة من الناحية الفنية، ومهما كانت مدى هذه الاستفادة والتأثير إلا أنها لم تؤثر تأثيرا كبيرا على النوميدي حتى تنسبهم الماضي ويغيرون عاداتهم و تقاليدهم ، وذلك إن دل على شيء إنما يدل على وجود مجتمع إفريقي متطور ومفتوح للتأثيرات الخارجية.

### خاتمة:

اردنا من هذه الدراسة المتواضعة إعادة الاعتبار لمملكة نوميديا، المهمشة من طرف الباحثين، وصنفوها في خانة التابع والحليف لروما لا غير، وأكثر من ذلك، اهين التاريخ القديم لشعوب شمال افريقيا وصنفوا في خانة الشعوب الغير مؤثرة حضاريا بل يتأثرون بالأجانب وشعوب قابلة للاستعمار، وروجت لذلك المدارس التاريخية الأوروبية. ولكن الدراسة التحليلية للتاريخ تثبت عكس ذلك، لمملكة نوميديا الحرية السياسية والاقتصادية وكانت كيان سياسي افريقي متوسطي مؤثر في الأوضاع العامة في منطقة البحر الأبيض المتوسط. ومن واجبا اثبات وتأكيد ذلك من خلال تحليل ما جاء في المصادر الأدبية وتشجيع التنقيب الأثري.

1 - حارش محمد الهادي : التاريخ المغربي...، ص 171.

2 - نفسه ، ص 171.

3 - Bonnel : Monuments Greco-Punique de la Soumâ , R.S.A.C , T.49,1915, p 169.

4 - Ibid , p 170.

